اللغة والكتابة عند بختي بن عودة
كتاب "رنين الحداثة "أنموذجا

Language and writing in Bekhti Ben Aouda

Modernity Ringing' Book

فواز بن راحلة

جامعة باتنة1- / الجزائر

email: benrahlafouaz05@yahoo.com

تاريخ الإرسال:13 -06 -2022 تاريخ القبول: 16 – 11 - 2022

ملخص:

تسعى الدراسة إلى استكشاف الوعي النقدي الحداثي عند بعض النقاد الجزائريين المعاصرين الذين لا يقل مستواهم عن مستوى النقاد العرب أو الغربيين، رغم الإهمال الذي طالهم، لأن الدراسات الأكاديمية لم تعنهم، وان عنيت بهم في نادر الأحيان لا تصل إلى درجة استيعاب رؤيتهم النقدية.

كما تحاول الدراسة في إطار هذا المسعى الولوج إلى الكتابة الجديدة بمنظور الناقد الجزائري المرحوم "بختي بن عودة' من خلال كتابه "رنين الحداثة' الذي تناول ظاهرة الكتابة الجديدة، هذه الكتابة التي تمردت على الفكر الميتافيزيقي لتعانق السؤال وتستحضر الغائب وتغيب الايديولوجيا وتوسع التفكير وتميت العقل بلغة متعالقة بإشكاليات ومستجدات اللحظة الحضارية.

الكلمات المفتاحية:الحداثة؛ العقل؛ الكتابة؛ اللغة؛ النقد الجديد؛ الثقافة.

Abstract:

This study seeks to discover the different aspects of modern critical consciousness in some contemporary Algerian critics.Criticswhose work is no less important than that of Arabs or Westerners with whom they share the same level and the same skills,despite the marginalization they faced.Because academic studies have never taken into account their importance, except in rare cases where they never draw deeply to identify the scope of their critical vision.

In order to achieve the desired objective, the present study tries to reach the modern writing according to the vision of the Algerian critic "Bekhti Ben Aouda" by taking for example his book entitled. The book deals with the phenomenon of modern writing that has rebelled against metaphysical thinking in order to define that of questioning, that resurrects the absent and puts aside ideology, a writing that has expanded on a wider sphere of thought, using a language that is enriching for the mind and that is coherent with the problems and novelties that the civilizational moment requires.

Keywords:modernity, the mind, writing, language, modern criticism, culture

مقدمة:

يعد "بختي بن عودة" من أبرز النقاد الذين تناولوا ظاهرة الكتابة النقدية في الجزائر، عبر كتابه الموسوم بـ"رنين الحداثة' ،حيث حاول من خلاله استقراء مفهوم جديد للكتابة النقدية وجاء المقال في هذه الورقة البحثية الموسومة ب اللغة والكتابة في رنين الحداثة عند بختي بن عودة إشكاليا، إذا قمنا بإدراج ضمن الإشكالية العامة التي تستفسر عن الكتابة الجديدة بمنظور بختي بن عودة عدة أسئلة تتمثل في:.

- كيف يرى بختي بن عودة الكتابة الجديدة؟
- كيف يرى بختي بن عودة اللغة الجديدة؟
- ماهي الحداثة بالنسبة اليه؟ متى ... أين وكيف بدأت؟
- ما هو الفكر المابعدحداثي؟ هل هو استمرار للحداثة أم قطيعة معها؟ ماهي التصورات التي يحملها؟
- وماذا بشأن فكرة الاختلاف؟ وأي نوع من العلائق تربطه مع النقد واللغة والكتابة؟

شهدت الحركة النقدية الجزائرية في مطلع الستينيات إقبال الأدباء والنقاد على الدراسات التي تجمع وتصنف وتؤرخ للأدب الجزائري في القرن الثامن عشر والتاسع عشر خاصة وهذا النوع من الدراسات يتطلب الاعتماد على المنهج التاريخي الذي حضر في اغلب الكتابات النقدية الأولى لنقاد كبار بداية من "أبي القاسم سعد الله' ،وصالح خرفي

ومحمد مصايف وعبد الله ركيبي ومبارك جلواح ،وغيرهم من الذين آمنو ا بضرورة الكتابة في التاريخ يقول سعد الله": إن الكتابة التاريخية عملية متجددة يمارسها كل جيل بالقدرة العقلية التي وصلها"[1](1) . وعليه فان النقد التاريخي هو البوابة المنهجية الأولى التي فتح الخطاب النقدي الجزائري عليها.

أما في السبعينات ،فقد لاحت في أفق النقد الجزائري بوادر الدعوة لضرورة ارتباط الأديب بمجتمعه من خلال مجموعة من الأدباء والنقاد ،ومن ثمة سيطر السوسيولوجي على الكتابة بما فيها النقد ،وأضحت القضية الوطنية هي المقياس الذي يقاس عليه النضج والتطور الأدبي ،ويعبر محمد مصايف محددا بداية توجه النقد الاجتماعي في الجزائر بقوله: تأكدت النظرة الاشتراكية في النقد بعدما كانت معالمها غير واضحة في أعمال مجموعة من النقاد ...وبهذا عاد المد الاشتراكي أو نقد الجدلية الماركسية وهو الغالب على جميع المناهج النقدية في الأدب العربي الحديث"(2).

وعلى هذا الأساس كان لزاما على الأديب في تلك الفترة أن يعكس الصورة الحقيقية لمجتمعه ويلتزم بقضايا وطنه وإلا كان أدبه غير نافع ولا حاجة إليه، على أن "الالتزام الحق لا ينافي الفن بحال من الأحوال".(3)بمعنى أن الأدب ليس "دعوة أيديولوجية مجردة بل هو دعوة في قالب فني معين، وبقدر ما يفقد هذا القالب من قيمته الفنية، بقدر ما تفقد الدعوة الاجتماعية والإنسانية من عمقها "(4).،وقد تبنى جل النقاد الجزائريين هذا الطرح أنداك.

أما في الثمانينات الى غاية التسعينات فقد ازداد عدد النقاد الجزائريين، واتسمت الحركة النقدية وقتها بنوع من النشاط الممنهج بفضل الدعوة للانفتاح على الأخر وتجاوز التقاليد

(1)- أبو القاسم سعد الله: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر دار الغرب الإسلامي، لبنان ط1، 1996.

(2)- محمد مصايف: دراسات في الآدب والنقد ,المؤسسة الوطنية للكتاب ,الجزائر,دط,1988,ص5.

(3)- عبد الصدوق عبد العزيز، الاتجاه الاجتماعي في النقد الحديث والمعاصر،2011، ص3.

(4)- محمد مصايف: النثر الجزائري الحديث المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط1983، ص95.

النقدية وتغيرت النظرة النقدية للغة والأدب والنقد والكتابة النقدية بشكل عام، وذلك بتغيير الفكر النقدي الكلاسيكي الى فكر نقدي حداثي.

1- المرجعية النقدية لدى بختي بن عودة:

يعد في نظرنا الأديب الشهيد "بختي بن عودة' 'علامة فارقة في تاريخ الحركة الثقافية الجزائرية المعاصرة وقد تميزت كتاباته بالتنوع والثراء ما بين كتابة القصيدة الشعرية وكتابة المقالة النقدية الأدبية، والدراسات الفكرية.

ويتبين من خلال مراجعة اثار المرحوم "بن عودة' 'خصوصا الفكرية منها، أنه كان ينهل من المصادر والمراجع الحديثة وخاصة الفكرية والفلسفية،وقد كان تركيزه على المراجع التي نحت منحى عقلانيا وحداثيا ولذلك فان العديد من الأسماء المعاصرة الأكثر جدلا وسجالا تتواتر أعمالها في قراءاته لواقع الحركة الفكرية والثقافية في بلادنا ،وكذلك في نظراته وتأملاته لمسارات وتحولات المشهد العقلاني في الثقافة العربية المعاصرة ، ومن أبرز الأسماء التي ساهمت كتاباتها في تكوين وعيه النقدي ،وبناء نظراته الفلسفية وانتقاداته الأدبية نجد: محمد أركون بكتابيه' 'عودة الفكر العربي"، "الهوية وحرية الفكر' 'الإسلام والحضارة".... كما نجد أثر مصطفى بوتنفنوشات"الثقافة في الجزائر" باللغة الفرنسية وكذا عبد القادر جغلول " الاستعمار في الجزائر وصراع الثقافات في الجزائر، مصطفى الأشرف "الجزائر أمة ومجتمع".

أما تأثير المؤلفات المغربية فنجد كتاب "حداثة السؤال" لمؤلفه محمد بنيس، وهو من أهم مؤلفات الشاعر المغربي التي حملت رؤية "بن عودة' 'للكتابة والابداع ولعله المرجع الذي نفذ من خلاله الى عالم الحداثة، كما نجد أثر محمد عابد الجابري في "إشكاليات الفكر العربي المعاصر' 'برهان غليون في "بيان من أجل الديمقراطية واغتيال العقل" إضافة الى عبد الكريم الخطيبي، عبد الوهاب المؤدب،والياس خوري، والمفكر اللبناني علي حرب...الخ.

أما المراجع الغربية فقد كان شغوفا بها الى منزلة الاندفاع والانبهار والانصهار خصوصا الكتابات التي تمحورت حول الحداثة والعقل وتفكيك البنى الحضارية للمجتمعات البشرية فقد أخذ الكثير من آرائه من مؤلفات نيتشه و ميشال سير و الان باديو و جاك ديريدا وغيرهم فقد اطلع على أرائهم باللغة الفرنسية التي أجادها أو بواسطة الترجمات العربية لبعض هذه المؤلفات التي جذبت اهتمامه اليها،ويبقى "جاك ديريدا" أهم مفكر

فرنسي وقع بختي في أسر أفكاره ،وأرائه النقدية و الفلسفية، هذا الأخير الذي يعد من رواد المدرسة التفكيكية في الدراسات الفكرية الغربية الحديثة وذلك من خلال العديد من أعماله من مثل:

Du droit à la philosophie.la vérité en pinture.la carte postale de Socrate Freud et au de la...

ويبرز تأثير "جاك ديريدا' ‘من خلال تواتر اسمه بكثرة في كتابات بختي بن عودة من خلال أفكاره وأرائه التي نعثر عليها مبثوثة ومندسة في كتابه "رنين الحداثة" يقول في إحدى صفحاته:" سنرى مع الفيلسوف جاك ديريدا كيف أن الديمقراطية مؤجلة..."[1][(5)]2 .

لقد كان بختي بن عودة منجذبا إلى الفكر الحديث من خلال مؤلفات كونت وعيه النقدي.

2- تقديم كتاب: "رنين الحداثة":

يبدو من العنوان "رنين الحداثة" أن بختي بن عودة منبهر مشدوه الى متاهات الحداثة تنظيرا وممارسة.

وإذا تأملنا الغلاف الأول للكتاب فإننا نجد صورة فوتوغرافية كبيرة للشهيد "بن عودة" ترمز الى قوة الحضور مع الصور الثلاث الضلية التي تندرج في الاحتجاب والتي تحيل الى اختفاء بن عودة وكقراءة تأويلية قد ترمز الصورة الى وجود الأثر رغم التغييب والاحتجاب الجسدي. وقد جاءت مادة الكتاب على ثلاثة أقسام:

القسم الأول:استهل الكاتب فصله الأول "الحداثة ... بأي معن؟" على صيغة تساؤل " : ما الحداثة إذا لم تكن لحضه فكرية بعيدة الغور في المكان المدعو بالتاريخ المرئي..."[(6)]،وينتقد في الفقرة الموالية المجتمعات التي لم تتهيأ الظروف لينتقل أهلها من المراحل البدائية إلى عتبات وأعماق الحداثة يقول:'" كيف يتحقق ذلك في مجتمع بدائي غير متجانس منفعل وأكول يتكاثر بسرعة، ينتظر بدئيا ولا يبدع، يترنح و لا يجرؤ تتحكم في تفاصيله البدايات ... البرمجة الموثوق منها لإدارة الإنسان دائما"[(7)].لذلك وحسب نظره يجب علينا أن نفتش عن أساسات الحداثة في طرائق التعليم،والتواصل،والكلام ،والكتابة والصمت والتمييز بين إيقاعي الليل والنهار.

---

[1][(5)]- بختي بن عودة: رنين الحداثة، منشورات رابطة كتاب الاختلاف-الجزائر-ط1،1996، ص95.

[2]

[(6)]-المرجع نفسه، ص6.

[(7)]-بختي بن عودة، المرجع نفسه، ص7.

القسم الثاني: جاء بعنوان "الحداثة...ذلك المجاز النازح" حول مدلول مفردة "الحداثة" وقد اختزل فيه أراء حول :التاريخ ،العقل و المخيال و الواقع المعيش في المجتمعات العربية وذلك برؤية نقدية ووعي فكري عميق يقول "إن تاريخ المخيال العربي و الإسلامي في الطبيعة المحددة له هو خيال أدبي ،رومانسي أخروي ،وربما من جهة علم التاريخ يكون قد وجد وعثر على بداياته في الشعر السابق لنزول الوحي إلى إشعار حافظ إبراهيم ومعروف الرصافي ومن القصص العجيبة والفانتاستيكية الى روايات طيب صالح و سليم بركات ،وربما ضل هذا المخيال هو المتمكن من البنية المفكرة للإنسان العربي ،وصانعا لذاتيته التي تستسلم بسرعة لما هو غير عقلي وبرهاني هذه الحقيقة لم يسلم منها المجتمع الجزائري ولم تكن سوى كذلك لتحجب التفكير"[8].

القسم الثالث: بعنوان " في المفهوم وكيميائه" ويشغل نحو 83 صفحة من حجم الكتاب، وهو بهذا الحجم يعد ثاني قسم من حيثالطول والأهمية، وقد رجع فيه المؤلف إلى التنظير واستعراض المفاهيم والآراء المختلفة حول مفهومي الحداثة والعقل، ويدل على ذلك عناوين فصول هذا القسم كـــ:"الحداثة ولذة المعابر' 'مجهول الحداثة أو السؤال الناقض للكينونة"...

3- الكتابة عند بختي بن عودة:

قد يتصور البعض أن مفهوم الكتابة يكمن في التحلية اللسانية الظاهراتية التي تتأسس عادة حول سلطة الدليل أو العلامة أو ربما يتصورها البعض على أنها تلك المهارة البسيطة التي تتركز في القدرة على رسم الحروف والكلمات رسما صحيحا ومع أن هذين التصورين يكونان جزءا مهما من مفهوم الكتابة إلا أن هذا الأخير أوسع وأشمل بكثير، لذلك نجد أن الكتابة شغلت الكثير من الفلاسفة والعلماء في حقول شاسعة من الأنثروبولوجيا واللسانيات والمنطق وحتى التحليل النفسي...

يقر "بن عودة" بأن العودة إلى الكتابة هي عودة إلى "دور الجسد في رسم حرية اللغة وكثافة الوجود أي الجسد المكبوت باسم جميع الأخلاقيات بما في ذلك أخلاقيات

[8]- المرجع نفسه، ص19.

الإبداع"[9]،التي تأخذ عادة هيئة النهي والتحذير، وهو بذلك لم ينكر حقيقة أن الانتماء المؤسساتي بضيق مجالات التعبير ويفسح الأواصر بين الذات والمتعة، إلا أنه يؤمن بأن الكتابة الجديدة تكسر الإطار الضيق للذات الكاتبة وتقوم بمساءلة المسكوت عنه في كل مكان لإبراز التعدد.

وعلى هذا الأساس،يشير بختي بن عودة في أكثر من موضع إلى أن قوانين الايدولوجيا مضادة لخيال الإنسان ولإبداعيته وأسئلته وهي من وجهة نظره " قوانين تسرق من العين صفائها، وتزرع في الذات الرغبة في الغياب، كما تدق على داخلها رميم لتكتب الكتابة في هذه الحالة غير انكسار الأعصاب والأوردة والغدد "[10]،وبذلك ينادي الى تحرر الكتابة من جميع القيود لأنها السبيل الوحيد الذي يقاوم قوانين الأيديولوجيا ويرسخ فكرة الاختلاف.

يقول بختي بن عودة في هذا السياق: " ولا شك أن ليل الاختلاف هو وحده المقاوم بإيقاع هذا الليل"[11]، وهنا نلمس نوعا من الاستعارة التي من خلالها نفهم بأن الكتابة في المنظور **البختيوي** تحمل دلالة الاختلاف لذا فإن بختي بن عودة قد أولى أهمية بالغة لها مما يستدعي توضيحا لمعنى الكتابة بطريقة مفصلة.

4- أبرز خصائص الكتـــــــابة عند بختي بن عودة:

يقول دريدا في تعريفه(للكتابة)": لا نطلقها فقط على الحركات البدنية لعملية التدوين في الكتابة الأبجدية والكتابة التصويرية والكتابة الرمزية ولكن نطلقها أيضا على كل ما يجعل الكتابة ممكنة ،ونطلقها أيضا فيما وراء الوجه الدال على الوجه المدلول عليه نفسه وعلى كل ما يؤدي عموما الى التدوين سواء أكان حرفيا أم لا"[12]،ومنه يمكننا أن

---

[9]- بختي بن عودة ، ظاهرة الكتابة في النقد الجديد: مقاربة تأويلية، دار صفحات للنشر والتوزيع-سوريا، ط1،2013، ص80.

[10]- بختي بن عودة ،رنين الحداثة، ص45.

[11]- جاك دريدا في علم الكتابة، ترجمة: أنور معبث ومنى طلبة المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ط2، 2008، ص46.

[12]- جاك دريدا، في علم الكتابة، ص69.

نتحدث عن كتابة عسكرية وسياسية وكتابة ألعاب القوى ،مادامت الكتابة تعطي حسب التعريف كل ما ينتج أثرا حتى لوكان ما توزعه في الفراغ مختلفا عن الصوت البشري.

وإذا تمعنا جيدا في هذا التعريف نجد ان مفهوم الكتابة يتجاوز مفهوم اللغة، وهو ما أكده "ديريدا" في قوله: "ان الكتابة تحتوي اللغة في كل معنى الكلمة[13]، ونجد بختي بن عودة يتبنى هذه الفكرة لما عد الكتابة فعلا أو حدثا لسانيا وعبر لساني.

يقول بختي بن عودة " ان الكتابة بالمعنى الواسع هي كل نسق دلائلي مرئي وفضائي، وبالمعنى الضيق هي نسق غرافي يخص توسيم اللغة...ندرك بداهة أن سمك الإطار الأول يحوي على كل أشكال التغيير، بينما سمك الإطار الثاني خاص بالكتابة اللغوية فقط وعليه يمكننا القول ان ما لا يتجسد في الكتابة، لا يمكن أن يتجسد مطلقا"[14].

إن الكتابة نوعان، كتابة حرفية ومن هنا يتبدى لنا معنى لفظ "كتابان" الذي عنون به "حمودة" أحد العناصر الموجودة في كتابه "ظاهرة الكتابة في النقد الجديد".

5- خصائص اللغة في الكتابة عند بختي بن عودة:

إن الكتابة - كما أشرنا سابقا - بالمعنى الواسع هي كل نسق دلالي مرئي وفضائي، وبالتالي فهي أشمل من اللغة ليس لكون كلمة "كتابة" قد كفت عن الإشارة إلى الدال على الدال ولكن لأن هذا الدال يبدو "تحت أضواء جديدة بأنه لم يعد قاصرا على تعريف هذا الازدواج العرضي وهذه التبعية المطاح بها وعلى العكس من ذلك يصف "الدال على الدالحركةاللغة في أصلها"[15]،وعلى مدار تاريخ الفكر الغربي من أفلاطون الى كلود ليفي شتراوس تم تهميش الكتابة على أساس المنطوق على المكتوب.

وبعد تقويض جميع المركزيات الأوروبية بما فيها مركزية الصوت، أعيد الاعتبار للكتابة بعدما كانت توضع في "منزلة سفلى وترى على أنها واسطة لواسطة وسقوطا في خارجية المعنى"[16]،يعبر جاك ديريدا عن ذلك بقوله:" منذ عشرين قرنا على الأقل، وفي إطار حركة بطيئة يصعب إدراك ضرورتها، أصبح كل من كان يطمح إلى الانضواء تحت اسم اللغة

---

[13]- المصدر نقسه، ص66.

[14]-بختي بن عودة: ظاهرة الكتابة في النقد الجديد، ص55.

[15]- نفس المرجع، ص55.

[16]- جاك ديريدا، في علم الكتابة، ص66.

وينجح في ذلك يستسلم لاجتياحه فيما يسمى الكتابة، ومن خلال ضرورة تدرك بالكاد يحدث كل شيء، وكأن مفهوم الكتابة يشرع في تجاوز حدود اللغة"[17].

6- ازدواجية اللغة:

من الباحثين من يفضل استخدام مصطلح ثنائية اللغة بدل مصطلح ازدواجية اللغة، ذلك أن مصطلح ازدواجية في نظر البعض يحيل الى "وجود لغتين مختلفتين عند الفرد أو الجماعة بينما يعني مصطلح ثنائية اللغة وجود مستويين في لغة ما"[18]. هذان المستويان عند بعض الباحثين يتمثلان في مستوى الفصحى ومستوى الدارجة ،وعند البعض الأخر هما مستوى الشفاهة ومستوى الكتابة بينما نجد بعض الباحثين يوحدون المصطلحين ثنائية/ازدواجية وعليه، فإن الإشكال لا يوجد في المصطلح فحسب ،وإنما يدخل كذلك في اطار المفهوم وسنرى موقف ابن عودة من هذا الإشكال؟.

يقول بختبي بن عودة عن اللغة أنها:' ذلك الفضاء الذي يحسن ضيافة اللغات الأخرى أي ذلك الانشطار الذي تقبله اللغة من جراء انفتاح قاموسها الممسك بالمدلول أكثر من إمساكها بالدال"[19]،ومنه نستنتج أن ازدواجية اللغة التي يعنيها بن عودة ليست مرهونة بمستويين داخل لغة واحدة الشفاهة/ الكتابة أو الفصاحة /الدارجة وإنما يقصد وجود لغتين مختلفتين.

إن الاختلاف الكبير بين العامية واللغة الفصيحة يدخل فينا الشك حول اعتبارهما وتصنيفهما كمستويين في لغة واحدة أم كلغتين مختلفتين.

ان دعوة ناقدنا الى ابراز ثراء اللغة تتمحور في عدم انتماء اللغة – كما كان معهودا - الى القاموس، بمعنى أوضح هي دعوة رافضة لمقولة "لكل دال مدلول" بحيث بصبح الدال معه حاملا لمدلولين أو أكثر وهو ما يندرج ضمن الطرح الفلسفي لمصطلح الازدواجية اللغوية.

---

[17]- المصدر نفسه، ص74.

[18]- ينظر: عبد الرحمن بن محمد القعود: الازدواج اللغوي في اللغة العربية، مكتبة الملك فهد الوطنية- الرياض، ط1،1997، ص19.

[19]- بختي بن عودة ظاهرة الكتابة في النقد الجديد، ص217.

وعلى هذا الأساس يصف بن عودة اللغة بـ" المسكن الذي يقبل بهجرة اللغات اليه ويضمها لكي تشكل جزءا من دلاليته وقدرته على رد الجميل"[20]، وعليه فان هذه الازدواجية اللغوية لا تحصر على صعيد الكلام فقط، بل تظهر كذلك من خلال الكينونة والوجود والفكر مادامت اللغة ترجمة لهذه العناصر وهنا يبدو لنا الناقد حاذقا في مناداته لإثراء اللغة.

يقول ابن عودة"إن اللغة لن تتوقف على تغيير وجوهها وعلائقها وتشتغل في التبليغ كما في الترميز على ترقية النظرة إليها من زوايا ليست حبيسة مناخات متطابقة ونهائية"[21].

إن فكرة الناقد "بختي بن عودة' ‘مطابقة لفكرة "رولان بارث" عندما يقول':' إن أكبر اكتشاف للحداثة هو أن اللغة ليست شيئا مؤكدا، وإنها تنمو في مدار خاص، مدار مغاير لمدار الحقيقي"[22]،وإذا أسقطنا ذلك على العمل الأدبي فإننا نقر بلامحدودية المعنى فيه.

إن اللغة حسب "بختي بن عودة" ليست وسيلة بل نظاما رمزيا، وعليه فهو ضد ما يذهبإليه علم فقه اللغة والمنطق، إلا أننا نلمس ما يناقض طرحه هذا، ويظهر لنا ذلك جليا لما اعتبر اللغة في موضع آخر ذلك الوسط الشمولي الذي تجري فيه عملية الفهم من الممكن أن "تشير الألفاظ إلى الدلالات المقصودة إشارة مباشرة حينئذ،تكون بصدد التعبير عن الحقائق ،وهي وظيفة يؤديها الاستعمال الحقيقي للغة وقد تشير إلى تلك الدلالات إشارة غير مباشرة وهي وظيفة يؤديها الاستعمال المجازي أو التصوير الفني"[23].

وعليه تبقى اللغة دائما وأبدا وسيلة لنقل المعاني والأفكار. على أن هناك اللغة الواصفة وهي أحد العوامل لتطور اللغات تكمن في أن لها وظيفة ما وراء لغوية، بتعبير أخر أن اللغة تستخدم أحيانا للتكلم عن اللغة،إن دراسة اللغة الواصفة هي" دراسة جمل

---

[20]- بختي بن عودة رنينالحداثة، ص219.

[21]- المصدر السابق، ص179.

[22]- فانسان جوق رولان بإرث والأدب، ترجمة محمد سويرتي، افريقيا الشرق، ط1، 1994، ص07.

[23]- فاتحة الطابب، محمد مساعدي، عبد الواحد المرابط أسئلة القراءة واليات التأويل، بين النقد ونقد النقد دار الأمان ،. المغرب، ط1،2015، ص18.

اللسانيات الواصفة، بمعنى تلك التي يكون مدلولها لغويا، وهذا المدلول لا يمكن أن يكون سوى نتاج التركيبة المعجمية للجملة"[24].

ونخلص في الأخيرإلى أن للغة إمكانات على ضم لغات أخرى، وأن ممارسة الازدواجية اللغوية تزيد من الوعي بالذات والتحاور مع الثقافات الأخرى

7- الكتابة /القراءة:

لقد أهمل النقد في القرن 19 القارئ واهتم بالمؤلف بوصفه منتجا للنص، يقول "رولانبارث"في هذا السياق: " لم يهتم النقد الكلاسيكي أبدا بالنسبة إليه لا يوجدإنسان في الأدب غير الذي يكتب"[25]،لذا فان الإثباتات حول غياب الاهتمام بالقارئ كان دافعا لطرح سؤال القارئ والقراءة، فما هي سمات القراءة في النقد الجديد؟ وكيف ينوب القارئ عن الكاتب حسب الناقد "بختي بن عودة"؟

يعرف بختي بن عودة القراءة على أنها" فحص للنص بالصورة التي تنتج تفاعلا بين القراءة والنص، للبحث عما يوجد في ظاهره بما تليق به ممارسة دالة هي الكتابة، وهي عاشقة بسبب شهوية المعنى"[26].

يظهر لنا من خلال من هذا التعريف بأن القارئ/الناقد لا يقوم بتفسير النص أو تأريخه بل "يكتبه من جديد منتهيا الى اللحظات المشتركة بقراءة "عاشقة" بحيث يتحول نصه النقدي كمشروع مفتوح إلى نص مواز ملهم وإشكالي،ومن هذا المنطلق يمكننا عد القراءة فعلا إبداعيا كونها تسمح للقارئ بأن يتحصل على اللذة ويرغب في الكتابة والفكرة نفسها نستشفها عند بارث في قوله" فلا ينبغي للقراءة أن تكون استهلاكا بل إبداعا ،والقراءة تقتضي بصورة أشمل إعادة كتابة عمل أدبي عن طريق تركيب مختلف الأشكال الموظفة من قبل الكتابة بدل تلقي بصورة سلبية نتاج قديم تم تكوينه من قبل"[27]،لكن إذا كانت القراءة لا تنادي إلى كتابة جديدة "فهي شيء غير مفهوم "على حد تعبير "روجي

---

[24]Josette rey-debove le langage. Robert.le métalangage étude linguistique du discours sur 1978.p25

[25] N. Carpentier /la lecture selon Barthes. P19.

[26]- بختي بن عودة: رنينالحداثة، ص161.

[27]-الطيب عون، نظرية الكتابة عند رولان بارث، ص71.

لابورت " لذلك يتوجب وجود قارئ حر ومستقل عن كل الالتزامات والقيود،وهو ما أسماه بإرث بـالقارئ الليبيرالي الذي يقوم بتأسيس المعاني الافتراضية بين ثنايا النص.

إن القـراءة ليسـت علمـا ولا أدبـا ولا نقـدا وإنمـا نشـاط ذاتي يعيـد تشـكيل الـنص من جديـد وذلـك لا يتحقـق إلا إذا اشـتغل القـارئ على تأويـل لمعـاني الموجـودة في الـنص الإبداعي، لـذلك فـان القـراءة التي يتحـدث عنهـا بختي بـن عـودة ليسـت القـراءة السـطحية التي لا تتغلغل في النص، وإنما هي القراءة الفطنة تأويليا.

إن اللغـة في الأدب غير اللغـة في العلـم أو في الحيـاة اليوميـة، ذلـك أنهـا ليسـت لغـة دقيقـة ومعجميـة مثل اللغـة العلميـة ولا لغـة مباشـرة وبسـيطة كاللغـة في الحيـاة اليوميـة، وإنما هي لغة إيحائية "لا تضل حبيسة الدلالات المباشرة"[28]،فالأديب عبر فعل الكتابة ينقـل أحاسيسـه وعواطفـه وأفكاره إلى القـارئ بكل إبداعيـة، هـذه الإبداعيـة تحـتم عليـه المـزج بـين الخيـال والغمـوض حتى يجعـل القـارئ عبر فعـل القـراءة يـؤول ويفسـر هـذا الغموض ليتضح له عبر فعل التأويل مدلول النص الإبداعي.

إن الـنص الأدبـي" لا يكـون جمـيلا إلا إذا كـان غامضـا لا يفهـم إلا بعـد كـد الفكـر وإعمالـه طـويلا في حـل ألغـازه"[29]، ولـذلك فـان اعتمـاد الكاتـب في نصـه على الوضـوح والمباشرة يحط من مهارة القارئ الفكرية والتخمينية، ومن هنا نجد أن ممارسة التأويل قد ربطت في الدراسات الحديثة بنظريات القراءة والتلقي.

إن اختلاف الناس في قراءة النصوص يقر بحقيقة مفادها أن النص لا يستبطن معنى واحدا، وعليه فان تعدد القراءات والدلالات مرهون بتعدد التأويلات بل إن التأويل "على ما تناديه المناهج النصية الحديثة واحد من أساليب القراءة الجديدة للنصوص"[30]، وفي هذه الحالة "لن يكون القارئ في موقع المستقبل ولكن في موقع المحاور للنص"[31]،ولعل

---

[28]- فائق مصطفى عبد الرضا علي: في النقد الأدبي الحديث منطلقات وتطبيقات، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، العراق، ط1، 1989، ص27.

[29]- المرجع نفسه، ص23.

[30]- مرشد الزبيدي، اتجاهات نقد الشعر العربي في العراق منشورات اتحاد الأدباء العرب، دمشق، دط،2000ص168.

[31]- حميد لحمداني: القراءة وتوليد الدلالة: تغيير عاداتنا في قراءة النص الأدبي المركز الثقافي العربي المغرب، ط1 2003، ص57.

السؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام :كيف تتم ممارسة التأويل ؟ إن الإجابة عن مثل هذا السؤال نجدها عند الناقد "بختي بن عودة" لما أقام بعض الشروط التي لابد أن تتوافر عند المؤول حتى يتوصل إلى اكتشاف دلالة الوساطة بين عمق الرسالة والمتلقي ،ولن يتأتى ذلك إلا لمن كان معه' الرؤية والفراسة كما لا يمكن بلوغه إلا باستيعاب الإشارات الدالة ،وباختيار طبقات الصياغ السياق اللغوي ،ليكشف عن تركيبة النص المتوازية وتحليل مدلولات اللغة التي تفضح عنها العبارة الموحية والمعبرة عن مسكن وجود الذات"[32].

نستنتج مما سبق أن حصول الفهم الصحيح للنص يتطلب من المؤول "استحضار قوانين النص وقوانين السياق"، بحكم أن التأويل حدث في التاريخ يتم فيه تفاعل النص والمؤلف والذات والموضوع تفاعلا متبادلا" وهذه الفكرة أخذها بن عودة من غادامير.

لقد أولى الناقد بختي بن عودة أهمية كبيرة للتأويل، فهو لم يكتف بتقديم الشروط التأويل الفاعل، وإنما نبه النقاد إلى بعض الأخطاء التي قد يرتكبونها فيأثناء الممارسة التأويلية يقول في هذا المقام:"إن العمل ليس واحدا، ولذا يميل المؤول إلى الاحتيال من أول معنى يواجهه، ابتغاء الوصول إلى المرام، ومن أول صورة قد تشير إليه، لذلك يرحل نحو العمق ونحو العلة الأولى "[33]،وهذه الأفكار نلتمسها عند"بيارماشيري" الذي حذر هو الأخر النقاد من السقوط في ما أسماه"أيديولوجية العمل المفتوح"[34]،فهل يقر ابن عودة بمحدودية التأويل أو بعدم محدوديته؟

يعرف بختي بن عودة التأويل بأنه "لغة مبنية على كونه هو نفسه لغة وترميز"[35]،قد لا تستثيرنا لفظة لغة بقدر ما تستثيرنا لفظة رمز، بوصفها علامة تعتبر ممثلة لشيء أخر ودالة عليه فلفظ رمز يوحي حسب التعريف إلى أن الفهم لا يمكن أن يبلغ حد اليقين أو الاكتمال، بمعنى أن التأويل سيضل حسب بختي بن عودة دوما تأويلا معلقا وقابلا للفحص.

---

[32]- بختي بن عودة: ظاهرة الكتابة في النقد الجديد، ص94.

[33]- نفس المرجع، ص96.

[34]- بيار ماشيريو، التأويل ترجمة ع الموسوي، جريدة أنوال الثقافي السبت 7/7/1984-الرباط، ص14.

[35]- المرجع نفسه، ص99.

إن التأويل كعملية تاريخية و تاريخانية"يختلف من أمة إلى أخرى ومن فرد إلى فرد، داخل الأمة نفسها، بل يختلف أحيانا جزئيا أو كليا لدى الفرد الواحد"[36]،لأن ذلك راجع حسب "بختي" إلى أن"الدليل يتواجد بين الجسم والعالم،وهو وجود زاخر وممتلئ بحيث يصعب على المؤول الواحد أن يسكن بمفرده هذه الوضعية"[37]،ويعنى هذا أن المجال الهرمنيوطيقي يمتد إلى"أي موضوع قابل للفهم والتعقل"[38]مهما اختلفت نطاقاته من فن وتاريخ ...الخ،ما يجعل التأويل في حد ذاته غير محدود ففي مجال النص نجد أن "بارت"يميز بين الكتابة والكلام على أساس لا محدودية الدلالة،"إن الشيء الذي يجعل الكتابة في تعارض مع الكلام هو كونها تبدو رمزية،منكفئة على ذاتها وتلفت علانية نحو المنحدر الحقيقي للغة"[39]. وعليه فان العمل الأدبي لا يتأسس على هذا المعنى أو ذاك، وإنما يبقى دوما يحن إلى المعنى ولعلَّ خلخلة النظرة المنطقية إلى الدلالة هي ما يجعل القارئ والناقد يتمتع بالحرية التامة فيأثناء تعامله مع النص.

إن نظرة "بختي بن عودة" للامحدودية التأويل، تقلل من وجهة نظرنا من قيمة النشاط الهيرمنيوطيقي، وتجعلنا نعارض كل مشروع فلسفي يقاول أن يقدم لنا تصورات نهائية، إذ تبقى التفسيرات في هذا المسعى تحسن من معرفتنا للعالم ولا توصلنا إلىحد اليقين والكمال. ومن هنا يمكننا القول بأن"بن عودة" وفي ضوء رؤيته للتأويل على أنه مفتوح ومستمر وليس نهائي إنما يعترف بشكل أو بآخر عن إمكانية الخطأ.

8- الكتابة /النقد:

يرى محمد مندور أن النقد هو" فن دراسة الأساليب وتمييزها وذلك على أن لفظة الأسلوب بمعناها الواسع، فليس المقصود بذلك منحى الكاتب العام وطريقته في التأليف والتعبير والتفكير والإحساس على السواء"[40]، قد لا نوافق مندور لما حصر النقد بهذا

---

[36]- محمد مفتاح: التلقي والتأويل المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1،1994، ص.217.

[37]- بختي بن عودة ظاهرة الكتابة في النقد الجديد، ص94.

[38]- سعيد توفيق في ماهية اللغة وفلسفة التأويل، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط1،2002، ص95.

[39]- فانسان جوق: رولان بارت والأدب، ص70.

[40]- محمد مندور: في الأدب والنقد، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، د.ط،1988، صص9-10.

النوع المحدود، ذلك أن هدف النقد هو " المعرفة الفكرية"[41]،وليس تبيان طريقة التأليف أو الحالة النفسية والفكرية للكاتب.

الملاحظ كذلك أن تعريف محمد مندور للنقد منصب على المؤلف أكثر ما هو منصب على النص الإبداعي فلو تفحصنا جيدا جملة (منحى الكاتب العام) ندرك تماما أن المفهوم لا يمت بأي صلة للحداثة، بل يندرج ضمن فكر ما قبل الحداثة الذي طالما انشغل بالمؤلف والسياق الخارجي في تفسير النصوص الأدبية ولعل السؤال الذي يطرح ها هنا هو: هل النقد فن؟ وان كان كذلك، فهل نعد الناقد فنانا؟

إن كلمة فن تحيل إلى الذاتية والموهبة وربما الحدس والذوق، وإذا ما احتكمنا إلى نص إبداعي ما بإسقاط هذه الصفات، فإننا نساهم بأدنى شك في موت الأدب والنقد، ذلك أن الانطباعية والأحكام الذوقية وحدها لا تنتج نقدا موضوعيا، ومنه فلابد من موضوعية العلم. صحيح أن النقد يتخذ مهارات فنية تأليفية كانت أو أسلوبية لكن ذلك لا يجرده من فعالية ما، بحكم تعامله مع شتى أنواع المعرفة، وعليه فان النقد يجمع بين الذاتية والموضوعية وهو ما يذهب إليه النقاد الجدد.

يرى بختي بن عودة أن النقد هو توسط بين المعرفة والقراءة، وهو"لغة ثانية تزييفية، مائلة بوصفها ممارسة ذاتية شبه هذيانية، واثقة من مخزونها، بل قراءة غائرة في كنه النص بحمولاتهاالعلاماتية للقول ومحولة للعلامات ومنتجة لرمزية أخرى مع نبرة غالبا ما تكون مخالفة"، هذا التعريف يرتكز على أمرين مهمين:

الأول يتمثل في أن رؤيتي محمد مندور وبختي بن عودة تفترقان في حدود الكتابة، فبينما ربط مندور مفهوم النقد بتفسير النص، ذهب بن عودة إلى ربط النقد بالكتابة، وبالتالي نستنتج أن النقد الجديد قد أولى أهمية لفعل الكتابة أما الثاني فيتمثل في المواصفات الكثيرة التي استعملها بختي بن عودة لوصف النقد، وهي مواصفات تجمع بين الإبداعية والقوة والمرجعية ثم يستدرك بأن النقد هو أيضا قراءة في كنه النص تنتج رمزية أخرى مخالفة أي ليست مطابقة للقراءة الأولى، ومنه فقد ربط فكر الاختلاف بالنقد ورفض أحادية المعنى.،يرى بيار ماشيري "إن نقدا يسعى إلى أن يكون عميقا،إذ يرى الأسطورة

[41]- ريني ويليك: مفاهيم نقدية، ترجمة محمد عصفور، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، دط،1997، ص12.

الهرمة لتفسير النص...إنه يشير إلى نفسه عبر طبيعته التأويلية"[42]،وهو ينبه النقاد لمحاورة العالم الدلالي للنص والابتعاد عن قراءة البنية السطحية للنص.

ان الكتابة في النقد الجديد حسب رأي "بختي بن عودة" هي كامتحان يحمل دلالات التعدد والاختلاف والسر والمتعة والكثافة والطلاقة' وهي ممارسة تفوض السلطة والأيديولوجيا وتنفذ الى المكبوت.

الخاتـــمة:

- يصنف بختي بن عودة ضمن النقاد الذين لا يدعون القارئ بشكل صريح إلى تبني نفس مواقفه، وهذا ما يتجلى لنا من خلال إبداء رأيه المتفاوت وربما يعود ذلك إلى أن الناقد لا يريد أن يمارس سلطته على القارئ وهذا ما يتطابق مع المفاهيم المركزية التي ناد بها نحو: التحرر من جميع القيود وعدم امتلاك الحقيقة المطلقة، التأويل اللامحدود...الخ.
- يحاول بن عودة لملمة خلاصات الفعاليات التفكيرية التي أنتجها عبر نحو نصف قرن من الزمن مبرزا أهم رؤاها لتحول المجتمع الجزائري وانتقاله من رؤية تتصف بالبدائية الى مجتمع حديث أخذا بجميع أسباب الحضارة.
- لقد ضل بن عودة في كتاباته مفتونا بهوس قضيتين شغلتا باله كثيرا هما الحداثة والعقل، كما أعرب عن خبرة نقدية للعديد من المصادر والمراجع التي كونت مكتبة أرائه وأفكاره.
- إن الكتابة الإبداعية الجديدة التي نادى بها الناقد بختي بن عودة تحفز القارئ إلى ممارسة الكتابة وهو أحد المقاييس التي يقاس بها النضج الأدبي وأن القراءة هي تبصر في اللغة بعمق، وتأويل دوالها بفطنة لتغدو بعد ذلك خطوة ممتعة في الكتابة.

---

[42]- بيار ماشيري: مفاهيم أولية، ترجمة: سامي السويدان/مجلة العرب والفكر العالمي، العدد الأول شتاء 1988، لبنان، ص23.

- إن حصول التفاعل بين الأديب والنص والقارئ يتطلب تمكن الأديب من اللغة، واجتهاد القارئ في التأويل.
- إن النص الأدبي والنقدي نتاج لغوي يقبل عدة قراءات، لذا فدلالته لا تعرف الحدود، ولا تتحد في هذا أو ذاك.
- إن الناقد الجزائري المرحوم "بختي بن عودة" تبنى أفكار رواد النقد الجديد، لكن لم يناد بها إلا بعد استيعابها ونقدها.
- يتميز الخطاب النقدي لدى بختي بن عودة بالدقة والموضوعية والوضوح.

قائمة المصادر والمراجع

- بختي بن عودة. (1996م). رنين الحداثة.ط1. منشورات رابطة كتاب الاختلاف. الجزائر.
- بيارماشيري. (1984م).التأويل ترجمة: عبد الموسوي. جريدة أنوال الثقافي السبت 7/7الرباط.
- جاك دريدا.(2008م). في علم الكتابة. ترجمة: أنور معبث ومنى طلبة.ط2.المشروع القومي للترجمة. القاهرة.
- بختي بن عودة.(2013م). ظاهرة الكتابة في النقد الجديد: مقاربة تأويلية.ط1. دار صفحات للنشر والتوزيع. سوريا.
- حميد لحمداني. (2013م). القراءة وتوليدالدلالة: تغيير عاداتنا في قراءة النص الأدبي.ط1. المركز الثقافي العربي المغرب.
- عبد الصدوق عبد العزيز.(2011م). الاتجاه الاجتماعي في النقد الحديث والمعاصر.
- عبد الرحمن بن محمد القعود.(1997م). الازدواج اللغوي في اللغة العربية. مكتبة الملك فهد الوطنية. الرياض.
- فاتحة الطابب. محمد مساعدي. عبد الواحد المرابط. أسئلة القراءة وآليات التأويل. بين النقد ونقد النقد. دار الأمان(2015م). المغرب.

- بيار ماشيري. مفاهيم أولية، ترجمة: سامي السويدان. مجلة العرب والفكر العالمي. العدد الأول. شتاء1.
- فائق مصطفى عبد الرضا علي. في النقد الأدبي الحديث منطلقات وتطبيقات.ط1. مديرية دار الكتب للطباعة والنشر. العراق.
- فانسان جوق.(1994م). رولان بإرث والأدب.ط1. ترجمة: محمد سويرتي. افريقيا الشرق.
- سعيد توفيق.(2022م). في ماهية اللغة وفلسفة التأويل. مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. لبنان.
- الطيب عون.(2006م). نظرية الكتابة عند رولان بارث. ط1. التجليات في النقد العربي المعاصر. عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع الأردن.
- ريني ويليك.(1997م). مفاهيم نقدية. ترجمة محمد عصفور، سلسلة عالم المعرفة، الكويت.
- محمد مصايف.(1998م). دراسات في الآدب والنقد. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر.
- محمد مصايف.(1983م). النثر الجزائري الحديث المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر.
- مرشد الزبيدي.(2000م). اتجاهات نقد الشعر العربي في العراق. منشورات اتحاد الأدباء العرب.دمشق.
- محمد مفتاح.(1994م). التلقي والتأويل. ط1. المركز الثقافي العربي. المغرب.
- محمد مندور.(1988م).في الأدب والنقد. دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع. مصر.
- **المراجع الأجنبية:**

- Josette rey-debove le métalangage étude linguistique du discours sur le N. Carpentier /la lecture selon Barthes..langage. 1978